

بلاغة الاختلاف بين الصيغ النحوية في المتشابهات اللفظية في آي الذكر الحكيم
_ الاسم والفعل نموذجا _ .

د. محمد شيباني*
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف (الجزائر)
pr.chibani.ens@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/01/19

تاريخ الاستلام: 2022/01/07

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسرار البلاغية لاختلاف الصيغ النحوية للمتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، وما الآليات المتبعة في إثارة صيغة على أخرى؟ وما السرّ الإعجازي وراء هذا الاختيار؟ وهل للسياق دور في الوظيفة التواصلية للنص القرآني؟

على أنه اختيرت صيغتي الاسم والفعل نموذجا لهذه الدراسة، وتظهر أهميتها في بيان المعاني والدلالات التي تقصدها كل صيغة على حدة، وفي زوال حيرة التالّي لكتاب الله تعالى بعد معرفة مراد الله سبحانه من كلامه المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم _ البلاغة _ المتشابه اللفظي.

Abstract:

This study aims to reveal the rhetorical secrets of the different grammatical forms of similarities in the Holy Qur'an, and what are the mechanisms used in favoring one form over another? What is the miraculous secret behind this choice? Does context have a role in the communicative function of the Quranic text?

However, the noun and verb forms were chosen as a model for this study, and their importance appears in clarifying the meanings and connotations intended by each formula separately, and in removing the confusion following the Book of God Almighty after knowing God's intention from His sacred words that falsehood does not come to him from his hands or from behind him. Hakim Hamid.

The abstract refers to the importance of research, its problems and the most important results.

Keywords: The Noble Qur'an - rhetoric - morphological analogy.

مقدمة:

إنّ المتأمل في كلام العرب، وما يتألف منه من ألفاظ، وما يتضمّنه من صيغ، وما يحويه من معان؛ يكتشف أهمية التنوع والاختلاف بين هذه الصيغ، ويطلع على أهمّ الفروق الجوهرية بينها وبين المعاني الشريفة التي تؤدّيها، والدلالات اللغوية والبلاغية التي تقصد إليها؛ فالعدول عن الفعل إلى الاسم في التركيب، أو العكس، لا يحصل عبثاً؛ إنّما يحدث هذا لإدراك معنى، وإبراز دلالة لا يمكن تحصيلها إلّا عن طريق هذا العدول؛ هذا من وجه؛ وحتىّ يكون الكلام متناسقاً ومنسجماً ومتلائماً مع السياق الذي يرد فيه، والمقام الذي يقتضيه؛ من وجه آخر؛ وهذا مسلك دقيق جليل، لا ينساق إلّا لمن تَمَرَّسَ اللغة حتّى انكشفت له أسرارها.

وفي هذا المقام يقول ابن الأثير: «واعلم أيّها المتوسّح لمعرفة علم البيان أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى، لا يكون إلّا لنوع خصوصية اقتضت ذلك؛ وهو لا يتوخّاه في كلامه إلّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفَتَّشَ عن دفائنّها؛ ولا تجد ذلك في كلّ كلام؛ فإنّه من أشكّل ضروب علم البيان، وأدقّها فهمًا، وأعمّضها طريقًا»⁽¹⁾.

وقد كان لعلماء اللغة الحظّ الأوفّر في إبراز الفروق اللغوية، والدلالات المعنوية، بين هذه الصيغ⁽²⁾؛ وإمامهم في ذلك شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني رحمه الله إذ يقول: «الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم، وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمسّ الحاجة في علم البلاغة إليه. وبيانه: أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تجددّه شيئاً بعد شيء؛ وأمّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجددّ المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدّد ويحدث منه شيئاً فشيئاً؛ بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك (زيد طويل وعمرو قصير)، فكما لا يُقصدُها هنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدّد ويحدث، بل توجّههما وتثبتهما فقط، وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: (زيد منطلق)، لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل، فإنّه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت: (زيد ها هو ذا ينطلق)، فقد زعمت أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويترجّيه. وإن شئت أن تحسّ الفرق بينهما من حيث يلفظ، فتأمل هذا البيت:

لا يَأْلَفُ الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى؛ ولو قلّته بالفعل: (لكن يمرّ عليها وهو ينطلق)؛ لم يحسن؛ وإذا أردت أن تعتبره بحيث لا يخفى أنّ أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه؛ فانظر إلى قوله تعالى: **(وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)** [الكهف: ١٨]؛ فإنّ أحداً لا يشكّ في امتناع الفعل ها هنا؛ وأنّ قولنا: (كلبهم ييسط ذراعيه)، لا يؤدّي الغرض؛ وليس ذلك إلّا لأنّ الفعل يقتضي مزاولة وتجددّ الصفة في الوقت، وبقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها، من غير أن يكون هناك مزاولة وترجيّة فعل؛ ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً»⁽³⁾ اهـ.

فالجرجاني رحمه الله بيّن - بما لا منقذ فيه للشك - الفروق الدلالية بين هذه الصيغ من حيث الاستعمال، وساق الشواهد والأدلة من كلام العرب، ومن القرآن الكريم؛ ما يعضد رأيه، ويقوّي مذهبه، ويُلجِم أفواه خصومه.

والمُتَصَفِّحُ لكلام ربِّ البريّة سبحانه، يجده حافلاً بهذه الاستعمالات اللغويّة والبلاغيّة الراقية؛ والتي من خلالها بَلَغَ القمّة في الإعجاز، والروعة في البيان؛ وسنورد ما تَضَمَّنَه الكتاب العزيز في هذا الموضوع؛ على سبيل التمثيل لا الحصر؛ مستعينين بالله!.

بلاغة الاختلاف في صيغ الاسم والفعل في الآيات المتشابهة:

جاء في القرآن الكريم من الآيات المتشابهة ما يكون التعبير في إحداها بالاسم وفي الأخرى بالفعل؛ من ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُّقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٢٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: ١٩).

ففي آية آل عمران، وآية يونس، وآية الروم، جاء التعبير فيها عن إخراج الميت من الحي بالفعل "تخرج" المسند إلى ضمير المخاطب في الأولى، و"يخرج" المسند إلى ضمير الغائب في الباقيتين؛ أمّا في آية الأنعام فقد جاء التعبير بالاسم (اسم الفاعل) "مخرج".

هذا وقد تباينت أقوال أهل العلم في إبراز الفوارق الدلالية من هذا الاختلاف اللفظي في الآيات؛ فالخطيب الإسكافي رحمه الله يعلّل ذلك بقوله: «إِنَّ أَوَّلَ هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَرَ بِلَفْظِ الْاسْمِ وَهُوَ: "فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى" فَكَانَ اللَّائِقُ بِهِ أَنْ يُقَالَ «وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» وَلَكِنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةُ حُرُوفٍ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَهِيَ الْوَاوُ مِنَ "النَّوَى"، وَالْيَاءُ مِنَ "النَّوَى"، وَالْوَاوُ مِنْ "وَيُخْرِجُ"، وَهِيَ وَاوُ الْعُطْفِ؛ نُقِلَ مِنْ لَفْظِ الْاسْمِ إِلَى لَفْظِ الْفِعْلِ لَمَّا كَانَ "يُخْرِجُ" وَ"مُخْرِجٌ" بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَقَالَ: "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ"، فَجَعَلَ الْجُمْلَةَ وَهِيَ: "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ" خَبَرَ الْابْتِدَاءِ، كَمَا تَقُولُ: (إِنَّ زَيْدًا ضَارِبٌ عَمْرٍو، يَكْرُمُ بَكْرًا، وَمَكْرُمُ جَعْفَرًا)؛ فَهَذَا أَفْصَحُ مِنْ أَنْ تَقُولَ: (إِنَّ زَيْدًا

ضارب عمرو، ومكرم بكر، ومكرم جعفر؛ فلهذا المعنى قال: "يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي". فلما انتهى إلى العاطف من قرينه لم تكن فيه تلك العلة التي كانت في المعطوف عليه، فأجري على ما أجري عليه أول الآية؛ وهو: "فالق الحب" وما بعده: "فالق الإصباح وجعل الليل سكنا" [الأنعام: ٩٦]، وعاد إلى لفظ الاسم، وهو: "ومخرج الميت من الحي"، وعطفه على: "فالق الحب"، وليس في الآي الأخر ما في هذه الآية قبلها وبعدها من الاسمية؛ فذكر فيها على لفظ الفعل عاطفها ومعطوفها، فبان الفرق بينهما على ما بينت والله أعلم» (4).

إن الخطيب الإسكافي رحمه الله - وإن كان في كلامه نوع من الضبابية وشيء من الغموض - أرجع هذا الاختلاف الوارد في الآيات الحكيمة إلى طبيعة السياق أو المقام الذي جاءت فيه كل منها؛ تحقيقاً للانسجام والتناسق العجيب الذي تنتظم فيه ألفاظ القرآن العظيم؛ والتي تتفق وتتلاءم والمعاني السامية والدلالات الراقية التي تقصد إليها.

ويزيد الإمام الكرمانى عليه رحمة الله لهذه الغاية بيّناً وإيضاحاً، إذ يذكر أنّ ما في سورة الأنعام وقع بين أسماء الفاعلين، وهو: "فالق الحب والنوى"، "فالق الإصباح وجعل الليل سكنا"، واسم الفاعل يشبه الاسم من وجه؛ فيدخله الألف واللام والتنوين والجرّ وغير ذلك، ويشبه الفعل من وجه؛ فيعمل عمل الفعل، ولا يثنى ولا يجمع إذا عمل، وغير ذلك؛ ولهذا جاز العطف عليه بالفعل نحو قوله: "إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً" [الحديد: ١٨]، وجاز عطفه على الفعل نحو قوله: "سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون" [الأعراف: ١٩٣].

«فلما وقع بينهما ذكر "يخرج الحي من الميت" بلفظ الفعل، و"ومخرج الميت من الحي" بلفظ الاسم عملاً بالشبهين، وأخرّ لفظ الاسم؛ لأنّ الواقع بعده اسمان، والمتقدّم اسم واحد بخلاف ما في آل عمران؛ لأنّ ما قبله وما بعده أفعال؛ فتأمل فيه، فإنّه من معجزات القرآن» (5). وقد وافقه بعضهم في هذا التوجيه (6).

أمّا الرازي فيوجه اهتمامه إلى دلالة كلّ من الاسم والفعل؛ «وهو أنّ لفظ الفعل يدلّ على أنّ ذلك الفاعل يعتني بذلك الفعل على كلّ حين وأوان، وأمّا لفظ الاسم فإنّه لا يفيد التجدد والاعتناء به ساعة فساعة» (7) وإمّا يفيد الثبوت والدوام والاستمرارية، أمّا الفعل فيدلّ على الحدوث والتجدد والتكرار في كلّ آن؛ فهو مرادّ معلوم، وليس على سبيل المصادفة والاتفاق (8)؛ لأنّ الله جلّ وعلا له صفة في ذاته، وصفة في متعلّقات هذه الذات؛ فالله سبحانه خالق الحبّ والنوى قبل أن يوجد الحبّ والنوى الذي يفلقه، ومخرج الميت من الحيّ هو صفة ثابتة في ذاته قبل أن يوجد متعلّقها، وله صفة أيضاً بعد أن يوجد المتعلّق؛ فإن أراد الصفة قبل أن يوجد المتعلّق؛ جاء بالاسم «فالق ومخرج»، وإن أراد الصفة بعد أن يوجد المتعلّق؛ جاء بالفعل «يخرج» (9).

ثمّ إنّ آية الأنعام جاءت كلّها بأسماء الأفعال الدالة على الثبوت، إلّا جملة "يخرج الحي من الميت" فإنّه قد عدلّ فيها عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع؛ إرادةً لتصوير إخراج الحيّ من الميت، واستحضاره في ذهن السامع،

وهذا التصوير والاستحضار إنّما يتمكّن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي⁽¹⁰⁾.

وهذا التصوير هو «بمثابة حركة في كيان الكون كلّ، وفي كيان كلّ حيّ كذلك؛ حركة خفيفة عميقة لطيفة هائلة، تبرزها هذه الإشارة القرآنية القصيرة للقلب البشري، والعقل البشري، وهي تشي بيد القادر المبدع، اللطيف المدبّر.. إنّهُ اللمسة التي تردّ القلب البشري إلى الحقيقة الكبرى؛ حقيقة الألوهيّة الواحدة؛ حقيقة القوامة الواحدة؛ حقيقة الفاعلية الواحدة، وحقيقة التدبير الواحد، وحقيقة المالكية الواحدة، وحقيقة العطاء الواحد، ثمّ حقيقة أنّ الدينونة لا تكون إلّا لله القيّوم، مالك الملك، المعزّ المذلّ، المحيي المميت، المانع المناع، المدبّر لأمر الكون والناس بالقسط والخير على كلّ حال»⁽¹¹⁾.

والمتمائل لأقوال أئمة الهدى؛ يخرج بنتيجتين:

الأولى: أنّ القرآن الكريم تضمّن أدقّ الألفاظ وأكملها جمالا، وأشرف المعاني وأكرمها نبلا، وأعلاها شأنًا؛ في تناسق عجيب أعجز الخليقة أن تأتي بمثله.

الثانية: أنّ هذه البراعة في دقّة اللفظ، وسلامة المعنى، وجودة السبك، وروعة النظم، وجمال النسق، وقوّة العبارة، وكمال التركيب؛ إن كان لا مناص من أن تكون ميزة الكتاب الخالد؛ الصالح لكلّ زمان ومكان؛ فإنّها ليست مرادة لذاتها، وما هي بالغاية التي ينشدها؛ إنّما غايته الأسمى ومقصده الأسنى الهداية؛ فهو كتاب هداية أنزله الله لإخراج الناس من ظلمات الجهل وهوم الحرمان، إلى نور الإسلام وفسحة الإيمان؛ وهنا تكمن قوّة إعجازه؛ فلم نسمع أنّ أحداً رثله أو سمعه؛ إلّا كست جسده قشعيرة، وعشّي قلبه فرق، مصحوب بإذعان وانقياد لا مشروطين لقوارع آياته لحظة سماعه؛ وإن انتكس بعدها. نسأل الله الهداية!

2- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ﴾^(١٢) [الأنعام:

١٣١].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(١٣) [هود: ١١٧].

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا

وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(١٤) [القصص: ٥٩].

ففي آية الأنعام، وآية القصص، جاء التعبير فيها عن الإهلاك بالاسم: "مهلك"، "مهلكي"، أمّا آية هود فقد جاء التعبير فيها بالفعل: "يهلك"؛ وهذا لأنّ الله تعالى نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ يستعمل في النفي، وهو إيراد الفعل مسبوقاً بلام الجحود؛ ومن خصائص هذه اللام⁽¹²⁾ أنّه لا يظهر بعدها "أن"، ولا يقع بعدها المصدر، وتكون مسبقة بكونٍ ناقصٍ ماضٍ منفيٍّ: "ما كان" أو "لم يكن"، وهذا للدلالة على قوّة انتفاء الفعل⁽¹³⁾ مطلقاً. فيكون معنى قوله تعالى: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم:" ما فعلتُ الظلم فيما مضى، ولا أفعله في الحال، ولا في المستقبل، فكان غايةً في النفي؛ أمّا ما جاء في سورتي الأنعام والقصص فإنّه ليس فيها صريح ظلم يُنسبُ إلى ذات الله العليّة. فاكْتَفَى بذكر اسم الفاعل، وهو مقيد بأحد الأزمنة من دون تعيين، ثمّ نفاه⁽¹⁴⁾ هذا

من جهة.

ثم إنّه بالنظر إلى المقامات المختلفة التي وردت فيها هذه الآيات فإنّ آية سورة هود تقدّمها قوله تعالى: **(قُلُوبًا كَانَتْ مِنَ الْفُرُوقِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ)**، أي: فهلا كان منهم خيار ينهون عن الفساد والظلم؛ فلو كان منهم ذلك لما هلكوا: **(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)**، أي: ما كان ليفعل بهم ذلك أبداً؛ وإن وقع منهم ظلم مادام فيهم ناس صالحون يُغيّرون الظلم، وينهون عن الفساد، ويصلحون ما أفسد الناس^(١٥) تحقيقاً لسنة التدافع بين الحق والباطل في الأرض إلى قيام الساعة. يقول الله تعالى: **(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)** [البقرة: ٢٥١]، **(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)** [الحج: ٤٠]، **(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)** [الأنبياء: ١٨].

لكنهم كانوا كالمعتدين من بني إسرائيل: **(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)** [المائدة: ٧٩]؛ وجيء بالفعل في قوله "ليهلك" إشارة إلى التكرّر بحسب ما يكون منهم؛ فلو كان في كلّ أمة، وقرن بعد قرن، من ينهى عن المنكر والفساد، ويأمر بالإصلاح والرشاد، لما أخذوا بذوي الغي والظلم منهم؛ ولكان جلّ شأنه يدفع المُبطلين المفسدين، بالمؤمنين المصلحين؛ ولكن تكرر الفساد، وعمّ كلّ قرن، مع سكوت الناس عن الباطل، وعدم نهيهم عنه؛ فتكرر عليهم الجزاء والأخذ، وعمّهم الهلاك؛ فكان الفعل دالاً على التكرّر، ولم يكن الاسم ليعطي هذه الدلالة؛ وهذا كقوله تعالى: **(أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ)** [الملك: ١٩]، ولم يقل: وقابضات؛ لما قصده من معنى التكرّر.

أمّا قوله تعالى في سورة القصص: **(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا)** [القصص: ٥٩]، فإنّه تقدّم هذا قوله تعالى: **(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** [القصص: ٥١]؛ أي: أتبعنا ووالينا التذكّار؛ ويشهد لهذا قوله تعالى: **(وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)** [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)** [الإسراء: ١٥]. وناسب هذا ذكر اسم الفاعل، لأنّه قصد ذكر الاتّصاف بهذا، ولم يقصد التكرّر، ولم يكن حاصله.

وقد جاء اسم الربّ جلّ جلاله، في كلّ من آية الأنعام، وآية هود، وصدر آية القصص مضافاً إلى ضمير نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ إكراماً، وتأنيساً له، ولأمتّه، وإشعاراً له بعظيم حظوته ومنزلته لديه سبحانه، ثمّ

أَتَبَعَ سُبْحَانَهُ هَذَا بِقَوْلِهِ فِي آخِر آيَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي أَفْرَئِي إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ٥٦﴾؛ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَا أَهْلَكَهُمْ إِلَّا بَعْدَ اسْتِحْقَاقِ جَمِيعِهِمُ الْعَذَابَ وَتَسَاوِيهِمْ فِي الظُّلْمِ؛ وَحِثَّتْ بِهَذِهِ الصِّيغَةُ لَوْلَا يَتَكَرَّرُ اللَّفْظُ بَعَيْنِهِ، مَعَ الْإِتِّصَالِ وَالْقَرَبِ مِنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁶⁾.

وَلَا يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي الْجَمَّةَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ، جَاءَتْ مَنْوُطَةً بِالسِّيَاقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَضُمُّنَتِهَا؛ إِذْ لِلْسِّيَاقِ فَاعِلِيَّةٌ فِي تَفْجِيرِ دَلَالَاتِ الْعِبَارَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَبَيَانِ مَقَاصِدِهَا وَغَايَاتِهَا، وَقَدْ بُيِّنَ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ⁽¹⁷⁾.

3- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٣﴾ [الأعراف: ٦٢].

وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٤﴾ [الأعراف: ٦٨].
وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى النَّصِيحَةِ، فَالْآيَةُ الْأُولَى فِي قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَاءَتْ بِالْفِعْلِ "أَنْصَحْ"؛ فِي حِينٍ جَاءَتْ الثَّانِيَّةُ فِي قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالاسْمِ "نَاصِحٌ".
وَإِذَا أُنْعِمْنَا النَّظَرَ فِي السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ كُلُّ آيَةٍ عَلَى حِدَةٍ، فَإِنَّ كَلَامَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ رَدًّا عَلَى مَا أَتَمَّهُ بِهِ قَوْمُهُ مِنَ الضَّلَالِ حِينَمَا قَالُوا: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠]، وَمَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ صِفَةَ الضَّلَالِ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ الَّتِي تَتَجَدَّدُ وَتَتَكَرَّرُ بِتَرْكِ الصَّوَابِ إِلَى ضِدِّهِ، كَمَا يُمْكِنُ التَّخْلِي عَنْهَا فِي الْحَالِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَالرِّشَادِ، فَردَّ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا وُصِفَ بِهِ مِنْ الْفِعْلِ الْمَذْمُومِ بِفِعْلِ مَحْمُودٍ وَزِيَادَةٍ حِينَمَا قَالَ: "وَأَنْصَحْ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَمِرٌّ فِي نَصَحِهِمْ وَإِبْلَاجِهِمْ.

أَمَّا هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ رُئِيَ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِ بِالسَّفَاهَةِ، حِينَمَا قَالُوا: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ٦٦﴾ [الأعراف: ٦٦]. وَالسَّفَاهَةُ مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ الْمَذْمُومَةِ الثَّابِتَةِ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَنْتَقِلُ الْإِنْسَانُ عَنْهَا إِلَى أَضْدَادِهَا فِي الزَّمَنِ الْقَصِيرِ مَرَارًا كَثِيرَةً، فَكَانَ الْأَوَّلَى لهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يردَّ عَلَيْهِمْ بِصِفَةِ ثَابِتَةٍ فِيهِ تَفَنَّدَ زَعْمَهُمْ وَتَدَحَّضَ بِاطْلَاهُمْ فَقَالَ ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٧﴾ [الأعراف: ٦٨]، لِيَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى نَصَحِهِمْ وَحُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَمَفْطُورٌ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّ خُلُقَ النَّصْحِ لِقَوْمِهِ سَجِيَّةٌ فِيهِ لَا تَزُولُ بِتَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ وَالْحَوَادِثِ، فَأَبْطَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُمْ: "إِنَّهُ سَفِيهٌ كَاذِبٌ"، بِقَوْلِهِ: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾⁽¹⁸⁾.

وَقَدْ عُلِّقَ الْكَرْمَانِيُّ عَلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، فَقَالَ: «لَأَنَّ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَبْلِغْكُمْ﴾ بِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ فَعُطِفَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩]، فَعُطِفَ الْمَاضِي، لَكِنْ فِي قِصَّةِ هُودٍ قَابِلٌ بِاسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى قَوْلِهِمْ لَهُ: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ٦٦﴾، لِيَقَابِلَ الْاسْمَ بِالْاسْمِ»⁽¹⁹⁾.

قلت: وهذا توجيه بعيد باعتبار أن آية قصّة هود قد سبقت بفعل أيضًا "أبلغكم"، وهو أقرب إلى اللفظ "ناصح" من اسم الفاعل "الكاذبين". فأن يعطف على الأقرب منه في التركيب أولى من البعيد والله أعلم.

وها هنا نكتة لطيفة ومسلّك دقيق باعتبار خاتمة كلّ قصّة؛ إذ إنّ نوحا عليه السلام لمّا دعا قومه دهرًا من الزمن، فأبوا إلا كفورًا: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾؛ قال له ربّه سبحانه: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، ألمه ذلك كثيرًا، فانقلب يدعو عليهم بعدما كان عليه السلام يسدي النصيحة لهم؛ قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، فدلّ ذلك على أنّ نصحه عليه السلام لهم كان متعلّقًا بزمن معيّن فلما قامت الحجة عليهم بعنادهم واستكبارهم وجحودهم وغيّهم، كان نتيجة ذلك الدعاء عليهم ثم هلاكهم.

أمّا هود عليه السلام فإنّه لما استحق قومه العذاب لم يكن منه سوى أن عذر نفسه فقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: ٥٧]، وبين لهم أنّه كان ناصحًا ومبلّغًا أمينًا إلى آخر عهده بهم.

فمن وعى هذا، اتّضح له الفرق بين إيراد الفعل "أنصح" والاسم "ناصح" (20)

4- قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢].

وقوله سبحانه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩].

إنّ السرّ في اختصاص آية الانشقاق بالفعل المضارع "يكذبون" واختصاص آية البروج بالمصدر "تكذيب" مع اتحاد المعنى المقصود هو أنّ آية الانشقاق تقدّمها وعيد بالعذاب لم يقع بعد والخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلّم فجاء بالفعل للدلالة على كفرهم في الحال دون إفادة معنى الثبات والاستمرار على التكذيب، بل يمكن التخلي عنه إلى الإيمان، أمّا آية البروج فإنّها سبقت بذكر أمّ غابرة هلكت بسبب عنادها وجحودها وتكذيبها لدعوة رسلها عليهم السلام فجاء بالمصدر للدلالة على أنّهم استمروا على الغيّ والفساد والكفر والتكذيب وكانوا ثابتين عليه حتى أهلكهم الله وهم على ذلك (21).

والذين يعرضون عن الاعتبار بمن سبقهم من الأمم، ويستمترون في غيّهم، وينغمسون في تكذيبهم المتمكّن من نفوسهم، فإنّ مصيرهم كمن غبر من أمثالهم (22).

خاتمة:

وبعد فإن الاختلاف الحاصل بين الآيات القرآنية المتشابهة لفظيا في بعض الصيغ والمفردات؛ ما هو إلا

دليل على الثراء اللفظي والمعنوي الذي تمتاز به لغة القرآن الذي لولاه ما كان لها هذه المزية وهذا التشريف، فهي تعبّر عن وقوع الشيء شيئاً فشيئاً بمزاولة واستمرار بالفعل الذي يفيد كلّ هذه المعاني والدلالات، كما تعبّر عن الشيء الثابت الدائم الذي لا يخضع إلى قوانين الزمن وسننه بالاسم الذي ليس لغيره هذه المزية.

والسياق القرآني هو الحكم في إيراد هذا في موضع، وإيراد ذاك في موضع آخر من آية مشابهة للأولى، ولا يليق لفظاً ولا معنى أن يوضع الأول في مكان الثاني أو العكس؛ وهذا هو سر الإعجاز في النص القرآني وبراعته وبلاغته التي أعجزت أرباب البيان وفرسان الفصاحة، يوم أن كان للبيان أرباب وللصراحة فرسان.

ولقد اتضح مما سبق أنّ التعبير بالاسم أقوى وأبلغ من التعبير بالفعل — وإن كان كل في موضعه أبلغ وأفصح وأعجز؛ ذلك أن التعبير بالاسم لا يخضع إلى تأثير الزمن كما ذكرنا؛ فهو مطلق غير محدود؛ بخلاف التعبير بالفعل فإنّ الزمن يؤثر فيه ويحدّده ويجعله خاضعاً له، وتحت سلطانه، وهذا ما نستشقه من خلال الآيات القرآنية.

والتأمل للآيات القرآنية المجيدة يجد أنّ معظم النصوص التي جاءت لبيان صفات الله جلّ وعلا وردت بالاسم للدلالة على أنّها صفات ثابتة دائمة أزلية سرمديّة؛ من ذلك قوله تعالى: **(إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١٠٣)** [المائدة: ١٠٩]، وقوله سبحانه: **(وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ٢٩)** [ق: ٢٩]، فإنّ المولى تبارك وتعالى نفى الظلم عن نفسه المقدّسة، وأورد ذلك بالاسم للدلالة أنّه تعالى وتقدّس منزّه عن الظلم، وهذا التنزيه أبديّ سرمديّ، فلا يكون منتفياً في زمن دون غيره، بل انتفاؤه ثابت مطلق.

وهذا بخلاف ما جاء لبيان صفات المخلوقين وأفعالهم؛ فقد وردت بالفعل؛ نحو قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ٤٩)** [الأنبياء: ٤٩]، وقوله سبحانه: **(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ٢٩)** [فاطر: ٢٩]؛ فإنّ كلّ ما هو متعلق بالمخلوقين ورد بالفعل لعلاقته بالزمن وأ أنّه خاضع له ومحدود به فتأمل.

هذا وأسأل الله سبحانه أن يلهمنا العمل بكتابه، ويزيدنا إيماناً بالتأمل في معانيه وكشف أسرارهِ وإعجازه، ويفقهنا في دينه، وفي اللسان الذي اختاره لحمل معاني رسالته الخاتمة إلى خلقه، وأعوذ بأسمائه وصفاته أن يكون حظي من ديني ما يتفوّه به لساني، أو تخطّه يدي.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد، والحمد لله من قبل ومن بعد.

الهوامش:

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير الجزري، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419/1998، (1/416).

- (2) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام الرازي، تح: أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي، القاهرة، مصر، ط1، 1409 / 1989، ص: 106، 107. مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 / 2000، ص: 308-310. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 1414 / 1993، (2 / 113، 133، 134).
- (3) دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، تقديم: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1422 / 2002، ص: 200، 201.
- (4) دة التنزيل وغة التأويل للخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1431 / 2010، (2 / 526-529).
- (5) البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406 / 1986، ص: 65.
- (6) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من أي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، تح: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1428 / 2007، (1 / 295). كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1410 / 1990، ص: 163. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى الأنصاري، محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1408 / 1988، ص: 171، 172.
- (7) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411 / 1990، (13 / 76). وينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، ص: 203. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1414 / 1994، (7 / 329).
- (8) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي، دار سحنون، تونس، (د، ر، ت، ط)، (7 / 389).
- (9) راجع: تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، (د، م، ر، ت، ط)، (6 / 3807).
- (10) ينظر: حاشية الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، (الانتصاف لابن المنير)، رتبة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 / 1995، (2 / 45).
- (11) في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط25، 1417 / 1996، (3 / 385).
- (12) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 / 1998، (2 / 297-299). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 / 1997، (2 / 79). نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412 / 1992، ص: 106، 107.
- (13) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي، (12 / 186).

(14) ينظر ما قلناه: مفصلاً في درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي، (2/ 741-746).

ومختصراً في البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرمانى، ص: 100. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى الأنصاري، ص: 272.

(15) هذه العبارة جاءت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن غربة هذا الدين: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ قيل: ومن هم الغرباء يا رسول الله؟ قال: هم الذين يصلحون إذا فسد الناس» فأحببت إيرادها هنا اتباعاً. والحديث رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأحمد في مسنده، عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، والترمذي في سننه، عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ على خلاف في بعض ألفاظه؛ ينظر: الجامع الصحيح (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ر، ت، ط)، (1/ 1/ 90). المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421/ 2001، (3/ 157)، (6/ 325)، (15/ 22)، (27/ 237)، برقم: 1604، و3784، و9054، و16690. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1414/ 1994، (4/ 285).

(16) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، (2/ 671-673).

(17) لمعرفة دور السياق في تفجير دلالة العبارة القرآنية، يرجى الرجوع إلى كتابنا: بلاغة الاستفهام التقريرية في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية - لمحمد مختار الشيباني، كنوز الحكمة، الجزائر، (د، ر، ط)، 1432/ 2011، ص: 125-135.

(18) ينظر: درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي، (2/ 604-606). ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، (1/ 526-528). كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة، ص: 179. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام الرازي، (14/ 127). نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين البقاعي، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415/ 1995، (3/ 49-52). تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي، (8/ 2/ 203). تفسير الشعراوي، (7/ 4210).

(19) البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرمانى، ص: 86. وقد وافقه على هذا أبو يحيى الأنصاري، وأبو حيان الأندلسي، ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى الأنصاري، ص: 196، 197. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413/ 1993، (4/ 327).

(20) هذا بما فتحه الله عليّ، ولم أعتز على من تفتن لهذا سواء من المتقدمين أو من المتأخرين، فله الحمد والمِنَّة. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على كون القرآن معجزةً خالدة لا تنقضي عبره، ولا تفتى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. ولا زال المتأخّر يُنعم نظره في كتاب الله تعالى. ويغوص بفكره في معانيه الباهرة، فيستخرج من درره الكامنة ما فات المتقدم، وعجز عن الظفر به؛ فسبحانك ربّي ما أعظم كلامك!!.

(21) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، (2/ 1141، 1142).

(22) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي، (30/ 167). تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي، (30/ 62).

المصادر والمراجع:

1. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418/ 1997.
2. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 1414/ 1993.
3. البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406/ 1986.
4. بلاغة الاستفهام التقريرية في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية - لمحمد مختار الشيباني، كنوز الحكمة، الجزائر، (د، ر، ط)، 1432/ 2011.
5. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413/ 1993.
6. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي، دار سحنون، تونس، (د، ر، ت، ط).
7. تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، (د، م، ر، ت، ط).
8. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411/ 1990.
9. الجامع الصحيح (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د، ر، ت، ط).
10. حاشية الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري، (الانتصاف لابن المنير)، رتبة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415/ 1995.
11. درة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1431/ 2010.
12. دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، تقديم: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1422/ 2002.
13. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1414/ 1994.
14. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ر، ط)، 1414/ 1994.
15. فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن لأبي يحيى الأنصاري، محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1408/ 1988.

16. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط25، 1417/ 1996.
17. كشف المعاني في التشابه من المثاني لابن جماعة، تح: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1410/ 1990.
18. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير الجزري، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419/ 1998.
19. المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421/ 2001.
20. مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420/ 2000.
21. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي، تح: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1428/ 2007.
22. نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1412/ 1992.
23. نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين البقاعي، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415/ 1995.
24. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام الرازي، تح: أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي، القاهرة، مصر، ط1، 1409/ 1989.
25. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418/ 1998.